عَبْرَ كذا ...

للأستاذ الكبير «ا. ع»

يذكر القارئ أني كنت قد كتبت بحثاً في العدد ٤٢٤ من (الرسالة) أخطّئ فيه ما شاع في أقلام الكتاب من استعمالهم «عَبْرَ» - مصدر عَبَرَه - ظرفاً، مسايرين الترجمة الخاطئة للكلمة Acrooss الإنجليزية

وقد سقت للتوضيح ثلاثة أمثلة مما تستعمله الصحف والمجلات كل يوم. وسأعرض هذه الأمثلة مرة ثانية، وأبسط الموضوع بسطاً، وأضمّنه مقتبسات من كلامي وكلام مُناظري مما يدور عليه البحث بيني وبينه؛ حتى يعيه من القراء من لم يكن تتبعه منذ البداءة — وهذه هي الأمثلة:

١ — ومن زمن قريب ادعت اليابان لنفسها حق مرور قواتها «عَبْرَ» شمال الهند الصينية

٢ — وسنواصل كل شهر قذف ... بالقنابل الشديدة الانفجار، كما قرعت مصانعنا من إخراج طائراتنا الضخمة، أو جاءت إلى هنا «عَبْرَ» الأطلنطي

٣ — لهذا وصلوا بين باكو وباطوم «عَبْرَ» القوقاز بأنابيب

فردّ عليّ الأستاذ الفاضل محمد محمود رضوان في العدد ٤٣٢ من (الرسالة) بأن هذه الكلمة قد جاءت في بيت لسواد بن قارب هو:

فشمرت عن ذيلي الإزار وأرقلت
بيَ الدعلب الوجناء عَبْرَ السباسب[1]

ثم قال: ومن ثم يرى الأستاذ الكبير أن الكلمة صحيحة كما يستعملها الكتاب على عهدنا

وقال: ولو أردنا تخريج الكلمة على وجه صحيح لوجدنا أكثر من وجه، خلافاً لما يقول الأستاذ: «وأقرب هذه الوجوه عندي أن تكون «عَبْر» مصدراً مراداً به اسم الفاعل، فتكون حالاً مما قبلها»؛ ويكون التقدير: «مرور قواتها عابرة شمال الهند الخ»، «أو جاءت إلى هنا عابرة الأطلنطي»[2]

فأنت ترى أنه في عبارته هذه قد أعرب في صراحة «عبر» حالاً فعقّبت عليه في العدد ٤٣٣ بأن المصدر لا يقع حالاً إلا إذا كان نكرة[3] و «عَبْر» في الأمثلة التي أتيت بها — وفي غيرها مما تلوكه الصحف كل يوم — معرفة بالإضافة، فلا تصلح

(١) لي إلى هذا البيت عودة بمناسبة ما جد للأستاذ فيه من تأويل لكلمة «عبر»، فلا أتعرض له هنا

(٢) أرجو أن يرجع القارئ إلى هذه العبارة مرة بعد أخرى في أثناء تلاوته لهذا المقال؛ فإن عليها مدار معظم هذا البحث

(٣) راجع ما قاله النحاة في هذا الموضوع، وإن شئت فارجع إلى شروح ألفية بن مالك وحواشيها عند قوله:

ومصدر منكر حالا يقع بكثرة كتبتة زيد طلع

أيضاً: «ولو شاهدنا الملائكة يغسلونه (الميت) لم يسقط عنا الطلب بخلاف ما لو كفنوه» إلى أن قال: ولو غسل الميت نفسه كرامة كما نقل عن سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه، وكذا عن سيدي عبدالله المنوفي المالكي كفى لأنه من جنس المكلفين. وكذا لو غسل ميت ميتاً آخر كرامة»

نكتفي بهذا خشية الإطالة، ونعرضه عرضاً بغير مناقشة ولا بحث يقرأه الناس، ويطلع عليه إمام الأزهر، وهو القيم على علوم الدين في هذه البلاد والمسموع الكلمة بين أرجاء العالم الإسلامي، وكل ما نرجوه أن يوجه عنايته الجبارة إلى الإصلاح الصحيح لعلوم الأزهر، وذلك بإصلاح الكتب الدينية التي تدرس فيه، وبخاصة كتب العقائد منها، وأن يقوم العمل على الأخذ بها والدعوة على ما جاء بها، فلا يعبد الطاغوت في هذا البلد من دون الله، ومن لا يدين بها ويؤمن بأصولها يحال بينه وبين التصدي للدعوة إلى الدين، لأن العالم أو الواعظ إذا لم يكن سالم العقيدة خالص التوحيد، فإنه يكون أضر على الأمة من الجاهل

هذا ما نرجوه من شيخنا الأكبر، حتى يكون للعلم مستحقاً لوراثة الأرض بصلاح، فيأخذ أمور الحياة بأسبابها، ويستغلها بتسخير نواميسها، ويتبع سنن من يعاصرنا من الأمم الراقية شبراً بشبر وذراعاً بذراع، ليتبوأ مكانه اللائق به من العزة والسلطان.

نتزع إلى شيخنا الأكبر في ذلك، ونحن نعلم أنه ليس له غيره، فهو المسئول عن حماية العقائد الدينية في هذه البلاد من عبث الجاهلين، وقد تهيأ له من أسباب إنفاذ الإصلاح ما لم يتهيأ لمن سبقه من الأئمة المصلحين، فلا عذر اليوم

«المنصورة» محمود أبو ريه

أن تكون حالاً ؛ ثم جئت بعدة أمثلة مما يستشهد به النحويون لضرورة تنكير المصدر إذا وقع حالاً ؛ وقلت أيضاً : إن وقوع المصدر المعرف حالاً نادر جداً ، ولا يكون إلا فى صورتين يمثل لهما بمثالين هما : جاءت الخيل بَدادِ ، وأرسلها العِراكَ[1]

ولكن الأستاذ لم يُرِد أن يعترف بأنه قال ما قال — وهو ما خطّته يمينه صريحاً كما مرّ — فجاء فى العدد ٤٣٥ يقول ما نصه :

وأقول : إن الأستاذ لم يتبين رأيى على وجهه الصحيح ؛ إذ توهم أنى أرى « عبراً » مصدراً أريد به الحال [تأمل] ، ولم أقل هذا [تأمل] ، وإنما قلت : إنه مصدر وضع موضع اسم الفاعل ، فهو عبر بمعنى عابر ، كما فى قوله تعالى : « إن أصبح ماؤكم غورا » ؛ ورجل عدل : أى عادل !

أقول : ما على القارئ إلا أن يرجع إلى عبارته ، فهى من الوضوح والسلامة والإيجاز بحيث لا توقع فى وهم أو ضلال .

ثم نرى الأستاذ بعد ذلك يعود فيؤكد إنكاره لما قال ، ويفرّع من هذا الإنكار — فى شىء من الالتواء — إلى إجازة إعراب « عبر » حالاً ؛ إذ هذا المصدر — كما يقول — سيفقد تعريفه بعد التقدير ... الخ[2]

وإنى واضع عبارته كلها أمام القارئ ، مراعاة للدقة ، وسوقاً للحجاج على وجهه الصحيح ، قال :

(فأنت ترى أنى لم أنص على أن كلمة « عبر حال » حتى يشترط تنكيرها ، وإنما نصصت على أنها مصدر بمعنى فاعل [تأمل] . وكونها « حالاً » أمر اقتضاه سياق الكلام فى الجمل التى ساقها الأستاذ . وساعد عليه أن المصدر سيفقد تعريفه بعد التقدير . وصيير المضاف إليه مفعولاً ، وذلك فى قولك : « عابرة الأطلنطى » ؛ فليس ثم ما يمنع من أن يكون المصدر « حالاً » بعد أن فقد تعريفه)

أقول : إن المثال[3] — وهو موضوع البحث والمناقشة — غير صحيح ؛ إذ لا يعرف فى العربية مصدر معرف يقع حالاً إلا فى صورتين أو صور قليلة شاذة — فلا يمكن أن يتلمس له من « التقدير » ما به يخرج عن فساده المتأصل

ألا إن الموضوع من الخطورة بحيث لا ينبغى أن يُرمى فيه الكلام على عواهنه

بقيت مسألة ليست محل نزاع بينى وبين الأستاذ ، وهى ما أشار إليها بقوله : (فقد أصبحت القضية الآن : هل يشترط تنكير المصدر إذا وقع موقع اسم الفاعل ، بصرف النظر عن كونه حالاً أو غير حال ؟)

وللاجابة عن هذا أقول : يحسن أن يرجع الأستاذ مرة ثانية إلى ما جاء فى العدد ٤٣٣ ، فقد قلت فيه : (يكفى فى الرد على هذا أن أذكر الأستاذ أنه من المقرر أن المصدر قد يقع حالاً « إذا كان نكرة » . فالتنكير شرط ، نحو ... الخ)

(فأنت ترى أنى قصرت كلامى على « المصدر الواقع حالاً » ولم أتعرض لغيره ، فلا محل هنا لهذا الاستفهام

وليس كذلك بينى وبينه خلاف فى المصدر قد يقع فى موضع اسم الفاعل ، ولا فى أن اسم الفاعل قد يقع فى موضع المصدر

وبعد فقد آن لى أن أختم هذه الكلمة ، بعد أن أفرغت الوسع فى المقابلة بين كلام مناظرى وكلامى . وإلى القراء أحتكم والله ولى التوفيق

(ا . ع)

تصدر فى أول العام الهجرى

فى مجلم أكبر وصادة أوفر

مجلة الفكرة العربية والثقافة الإسلامية

الاشتراك السنوى ٢٠ والمعلم الإلزامى ١٥

صدر العدد الحادى عشر ومن موضوعاته :

طلائع حرب الاصلاح . القلبة العلمية بين الوثنية والتوحيد . شواهد الاستكانة والذل فى الحياة المصرية الفديمة . النظريات العلمية فى القرآن . الاسلام مرجع التربية الحديثة . تركستان البلاد الاسلامية الصديقة . الطفل الالزامى ثمرة هذه الأمة . الأنصار بين الماضى والحاضر .

المكاتبات بعنوان الأنصار : شارع البستان رقم ٢٤

(١) يقول ابن هشام : إن « وحده » فى « جاء زيد وحده » من المصادر المعرفة التى وقعت حالا نادراً

(٢) لقد اضطره إلى هذه المحاولة أنه قد أدرك خطأه فى إعراب « عبر » حالا [أى من غير هذا التأويل] واجبم قوله : ولو أردنا تخريج الكلمة ... الخ

(٣) أى فى قولهم « عبر الأطلانطى » أو نحوه مما غلطوا فأعربوا فيه (عبر) حالا

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١٩٤١/٩/٢٤ فى القضية رقم ٤٩٢ سنة ١٩٤١ ضد أحمد عبد الله فايد فلاح بكفر داود مركز كوم حمادة بالحبس شهرين بالشغل والنشر على معارفه لبيعه ذرة بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة .